قراءة العقل الحداثي للتراث العربي الإسلامي في فكر جورج طرابيشي.
العقل الإسلامي أمام راهن القومية الثقافية والعلمانية

Reading the modern mind of the Arab Islamic heritage in the thought of George Tarabishi

مناد صافية*

كلية العلوم الاجتماعية،جامعة وهران2 محمد بن احمد،الجزائر

****

تاريخ الإرسال:2018/12/23 **تاريخ القبول:2019/01/11** **تاريخ النشر: 31 جانفي 2019**

ملخص:

يواجه الفكر العربي المعاصر اشكاليات كبرى تبحث في البناء الداخلي للقيم العربية الاسلامية،حيث تعددت فيها اوجه الطرح الفكري والمنهجي للإشكاليات - الهوية وأزمة الانتماء وجدلية الانا والأخر ،الاصالة والمعاصرة - ؛ فالهوية مفهوم انطولوجي متعلق بقيم متأصلة عن التراث في ظل الخطاب الهيمني وتصاعد التحديات الحداثية ،وظهور ازمات ثقافية فكرية وإقصاء للخصوصيات الثقافية بظهور مايسمى بالعولمة والحداثه والصراع التصاعدي الناتج عنهما ،والبحث عن امكانية الضرورة للتعايش والحوار الحضاري ؛كلها مفاهيم أدت الى انحلال الانا الهوياتية داخل ثقافة كونية أحدثت تهميشا للثقافة الذاتية باسم العولمة والانفتاح. فالعولمة تعاني من صعوبة فهم المفهوم لأنه لم يعرف إستقرارا بعد، كما نجدها عند المفكر جورج طرابيشي في كتابة أصل العولمة وفصلها ،فعدم وجود اتفاق حول المضمون فان الاشتقاق نفسه يجعلها على طرفي نقيض من القومية فنعدها مثلا ظاهرة تاريخية ،مع اضافة التراث كنقد فكري للفكر العربي والعقل المستقيل ومكانة التفكير النقدي والفلسفي في صناعة الحدث الفكري سواء بمطرقة التراث او بفك العقل لحيثيات التي يشتملها ويحملها ذلك التراث.

كلمات مفتاحية: التراث ؛العقل المستقيل؛العلمنة الكونية؛الفكر ؛الخطاب؛المعاصر؛القومية.

Abstract:
The contemporary Arab thought studies the problems of the internal construction of the Arab Islamic values. The conceptual and methodological aspects of the problems of identity, the crisis of belonging, the dialecticality of the past and the present are different. The emergence of so-called globalization and modernization and conflict and the need for coexistence and civilizational dialogue are all concepts that led to the dissolution of the ethnic identity within a global culture that led to the marginalization of self-culture in the name of globalization and openness.

Keywords: *heritage; mind resigned; cosmopolitan secularism; thought; discourse; contemporary; nationalism.*

* - صافية مناد:باحثة دكتوراه تخصص فلسفة إسلامية وحضارة معاصرة، مختبر الأبعاد القيمية للتحولات والفكرية السياسية بالجزائر ،جامعة وهران2 محمد بن احمد .safi_a_488@hotmail.fr

مقدمة:

تكمن الخصوصية الذاتية للهوية الثقافية عن طريق الفهم الموضوعي لأشكال الأنا بنزعة مشرقية تلهث وراء الأصل ولا ترى أمامها إلا التغريب، التأصيل والبحث في التراث لا يجيب عن إشكالية الهوية الثقافية البديلة مادامت هناك ازمة العقل الاسلامي بين ذاتيته كفكر وثقافة كموروث عربي وقومي.

مما يعني أن الفهم الخصوصي للهوية الثقافية والتراث الخاص _العربي الاسلامي _ وحتى العقل المفكر سواءا كامن حداثيا او غير ذلك ؛وعلى غرار هذا نجد مصطلح العولمة لا يرقى للتصور الجدلي للثقافة كبناء والحداثة كتيار لتجربة استمرارية و قطيعات و للعلمنة كواقع تاريخي ومادي فلن يجد سوى فلسفة تاريخ هيجلية، إذ يقول بأن التاريخ "هو فلسفة التاريخ ، أي تاريخ الوعي والوعي بالتاريخ، مسار الروح في التاريخ، مسار الحضارة والوعي فيه

فالتاريخ العربي الاسلامي يتجه في ربط صلته بموضوعات حداثية من بينها الكونية والعلمنة الثقافية وهاته الاخيرة حسب البعض في اتجاه متزايد نحو التطور العلمي والتكنولوجي من مراكز القوى الاقتصادية العالمية وهدا مايحدث زيادة الانتاج التي تؤثر على الهوية الثقافية فاختلفت المواقف بين مرحب ومعادي خوفا على التراث وحماية للهوية الثقافية ،فصعوبة الحديث عن علاقة ازمة الهوية بالراهن في ظل المواجهة الغربية المتطورة من خلال العلمنة باعتبارها ثقافة كونية يجعلنا امام تساؤلات عدة فهل العقل الاسلامي يواجه جدلية الراهن والعلمنة ؟ فهل تعني العولمة الوعي بقضايا العالم ومشكلاته ومخاطره في فكر طرابيشي؟ ... وماهي تجلياتها في العقل المستقبل الاسلامي ؟_ وأين تكمن مكانة التراث العربي الاسلامي في الخطاب العقلاني المعاصر و اين يتوجه مستقبل العقل الفلسفي في دراسته نقديا ضمن المشاريع الفكرية المعاصرة؟

أ_العقل الاسلامي وعلاقته بالراهن الفكري:

انطلاقا،من نقد طرابيشي[1] للعقل العربي والاسلامي الذي كان بنقده لمشروع الجابري كقراءة نقدية وعقلانية مغايرة ومجددة للتراث العربي الاسلامي ،فالقراءة الجابرية للتراث تحولت الى تفكيك معرفي يقتضي وعيا نقديا وآليات منهجية خاصة بالأطر النقدية؛ سواءا انطلقت من التراث الفكري التقليدي عن طريق مايسميه العقلانية العربية الاسلامية ،الجابري علق على أنه" ظاهرة أفول العقلانية العربية الاسلامية على مشجب الغير ونحن نصر على ان نرى دور الذات في هذا الأفول"[2] فالعقل العربي والعقل الغربي لم يمثل في مقولة الجابري مقولة الجغرافيا وانما مقولة الابستمولوجيا ؛لها علاقة بالحقل المعرفي للعقل ،حيث تنتمي المعقولية للغرب بمرتبة البرهان أما المعقولية بمرتبة البيان فتكون من نصيب العرب كمرتبة العرفان بأطره اللامعقولة –على حد قول طرابيشي ان معقولية الجابري كانت مجغرفة إبستمولوجيا ويقومنها (قومية) لطرح الانظمة المعرفية الثلاث _نظام معرفي لغوي عربي الأصل ونظام معرفي غنوصي فارسي الاصل ونظام عقلاني يوناني الاصل "[3].اي مايعرف بنظام بياني عربي وعرفاني فارسي وبرهاني يوناني .

هنا نجد، ما اسماه الجابري بالتأويل في الحقل المعرفي البياني كمحدد أساسي لمحددات النظام المعرفي الذي يصدرون عنه بجعل نظام الخطاب نظام العقل وهوا مابينه الجابري بقوله " التأويل البياني كان تشريعا للعقل العربي ولم يكن كما يعتقد مجالا للممارسة الفعالية العقلية فعالية العقل الكوني المستقل بنظامه عن نظام اللغة"[4] ،تبعا لذلك يفصل الجابري بين نظام العقل ونظام المعاني ويقول بالعقل الذي يفهمه البيانيون أصحاب النحو فالعقل عنده هو منطق اللغة وهنا تطرح إشكالية نظام الخطاب /نظام العقل،فالتجديد والتحديث العقلاني الذي يطال التراث بالأصل هو عملية تاريخية وممارسة تبدأ من ماتبقى من ذلك التراث الاجتهادي بممارسة عقلية

1.جورج طرابيشي (1939_2016) ، مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري.

_جورج طرابيشي، نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقبل في الإسلام، دار الساقي بيروت لبنان ،ط1 ،2004،ص10[2]

[3] _ المصدر نفسه ،ص 12

[4] _ محمد عابد الجابري ،بنية العقل العربي2، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت،1986،ص67

وتكون بدورها ثورة ضد العقل المستقيل وضد إدعاء الكشف والوهم وضد التقليد والسلطة الدوغمائية وبعكس ما نادى به اركون رافضا العودة للتراث وداعيا لتفكيك العقل الاستشراقي ونقض المركزية التراثية او الثيولوجية وابراز المفارقات وتعاقب المركزية المعرفية الاوربية او مايسميه فلاسفة الاختلاف ورواد العقلانية المعاصرة بضرورة التفكيك"[1]

هذا تأكيد الجابري عل تجديد التراث وتحديثة انطلاقا من ما تبقى منه اجتهادا يخالف فيه اركون في دعوته الصريحة في القطع التام مع التراث واعتباره لحظة انبثاقية تاريخية فيعتبر تراكم المعارف والمواقف الثقافية مجرد افتعال مكرر فلا يمكن لعاقل ان يعتبرها حداثة فالقيم الاساسية التي انبثقت منها الحداثة تدعوا لإعمال العقل والاجتهاد واعتماد العلم ،حسب النسق الفكري التحديثي يبقى العقل العربي لايزال حبيس المنهجية التاريخية الفيلولوجية" لايمكننا ان نتحدث عن الاسلام والتاريخ دون ان نصطدم في طريقنا بالمستشرقين والاستشراق "على غرار الجابري الذي يؤكد على ضرورة تأسيس للحداثة من داخل التراث و التعامل مع التراث بمعقولية وموضوعية ،"وأنه افضل الف مرة او مائة مرة على الاقل ان يعي الانسان هدا المشكل من ان يفترض انه يدير ظهره للتراث ،في حين أنه يغرق فيه وقد يعود يوما ليعانق ذلك التراث في أكثر جوانبه ظلامية وفي أكثر جوانبه سلبية"[2].

بهذا يبدوا ،ضروريا ماناراه في الجانب المعرفي للجابري برفضه للسؤال التقليدي ماذا نأخذ وماذا نترك من التراث ؟،لأنه يميز بين فكرتين في التعامل مع التراث وبين عاملين اولهما المحتوى المعرفي والمضمون الايديولوجي فيطالب برمي المحتوى المعرفي للتراث لأنّ "كل معرفة سابقة لمرحلتنا المعاصرة تشكل مادة معرفية ميتة غير قابلة للحياة من جديد اما الايديولوجي فالأمر مختلف فالمضمون الايديولوجي ،ايديولوجيا،والايديولوجيا زمانها المستقبل"[3].

---

[1]_ محمد اركون ،من الاجتهاد الى النقد العقل الاسلامي ، تر هاشم صالح ، دار الساقي بيروت، ط1،1991،ص19_20

[2]_ محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991،ص289

[3]_كميل الحاج ، تصدع العقل العربي المعاصر او الصدام الصاعق مع الحداثة ،دار الحداثة للنشر،بيروت،ط1،ص2010،ص 151

ممّا تقدم تبدوا لنا ،جغرافيا الجابري الابستمولوجية تجهل_ لنقر له ذلك_ مبدأ إنزياح القارات فكما أن حدود الغرب والشرق وشرق الشرق نسبية الى بعضها بعض كذلك فان القارات المعرفية الثلاث البرهان والبيان والعرفان متداخلة متعادية لابمعنى انها متحاربة فحب بل كذلك وعلى الأخص "[1]،فتفكيك التيارات الفكرية والنظريات وتداخله لبعضها يقدمه التراث التاريخي من النزعة البرهانية معاكسة للبيانية المشرقية ومتصالحة مع العرفان " كإعادة تأسيس البيان على البرهان وهدا ماسبب في أزمة اسس واستقالة العقل عندما وقع في اللامعقول .

ويكون ذلك ،الهوس الديني الذي بدأ الانسان وكأنه يريد أن يعبر كذلك عن استسلامه للقوى الالهية طالبا منها ان تمده على شكل وحي والهام شخصي فما كان يريد الحصول عليه من قبل بواسطة قواه العقلية وحدها؛ "فالعقلانية مند الاغريق "[2]تحررت بفعل الفكر العلمي وتفككت قيود الهيمنة الاسطورية لكن فقدان الثقة بالعقل هو ماجعل ظهور ظاهرة الاساسية لاستقالة العقل واعطى للاعقلانية في مجال الفلسفة بالذات في الاقبال على بعث الفيثاغورية وتجديدها ،فالايمان بيفثاغورس كان يزداد بمقدار ماكان يتناقض وسلطان العقل .

و نجدها عند "الافلاطونية المحدثة وعلاقتها بالموروث القديم حيث تتفرع منها مغربية ومشرقية أي بالتأويل الابستمولوجي عقلانية واللاعقلانية يرد طرابيشي على الجابري انه " بنى محاكمة التي ارادها مدونة لما اسماها بالمركزية الاوربية التي مارست امبريالية وهيمنة على التاريخ الرسمي للفلسفة"[3].

إنطلاقا،من علاقة العقل العربي بالراهن المعاصر حسب طرابيشي كان من خلال رده عن الجابري في نظرية العقل لتفكيك المركزية الاوربية (اوروباي النزعة) مصطلح الناقد العربي كما يطلق عليه طرابيشي بتهكم عن الجابري وحسبه على غرار الاعتراف بهيغل على انه الاب الكبير للنزعة المركزية الاوربية في تاريخ الفلسفة الذي يستشهد الجابري مرارا بكتابه الموسوعي لتاريخ الفلسفة.

---

[1] _ جورج طرابيشي، نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقبل في الإسلام ،المصدر السابق،ص13

[2] _ محمد عابد الجابري، تكوين العقل،،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5،1995،ص169

[3] _ جورج طرابيشي، نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقبل في الإسلام ،المصدر السابق ،ص14

عندئذ؛ يعتبر تكوين العقل وعودة الجابري الى فيثاغورس (وحي هرمس المثلث العظمة لفستوجيير "أصحاب لنبوة وأهل الحكمة العتيقة وتلقى اراء الفلسفة الدينية الهرمسية وتأثيرها في مدرسة الاسكندرية الفلسفية وفي أفلوطين بالذات.

لذلك ،عندنا يعتبر التاريخ الفلسفة الاوربي النزعة ليحضر نومانيوس دلك الاحضار المكثف الدال انه يريد من خلال مشرقية نومانيوس ان يغزو اصلا شرقيا اللامعقول العقلي والديني على حد سواء بحيث يحتفظ العقل الاوربي الغربي بعذريته كاملة بحيث يتبدى الغربي وكأنه الموطن الاصلي للعقلانية وتحديدا العقلانية اليونانية التي ما انحلت وتفككت الا من جراء التهجين تحت معقول عدوى اللامعقول المشرقي"[1]،فالمركزية الاوربية الغربية ارتسمت مصورة للعقل الابدي على خلاف الشرق الذي يعد ركيزة اللاعقل وفي هذا الصدد نجد الجابري ينصب نومانيوس أبا مؤسسا للأفلاطونية المحدثة بصيغتها المشرقية (اللاعقلانية) مقابل افلوطين مؤسس الافلاطونية المحدثة بصيغتها المغربية العقلانية .

اذن يتضح لنا مما تقدم، انه إتسمت نظرية العقلانية في الفكر العربي بالغنوصية وطابع الالهي الذي يعد تاريخ للامعقول العقلي في الثقافة العربية الاسلامية، الذي عادة تكون بعيدة عن الراهن الفكري اذ يتعلق بالتراث الديني ؛بهذا يبدأ الصراع بين المشرقية والمغربية في فهم العقل العربي بين غنوصية وعرفانية والعقلانية البرهانية،تدخل الايديولوجية دفاعا عن الموروث وهنا مايسميه بإستقالة العقل التي ازدوجت عن ظاهرة إقالة العقل وهي كنتيجة جبرية لانصار الايديولوجية وتحول من العقيدة الى الدولة.فالجابري يوظف الهرمسية ليرد افول العقلانية اليونانية الى عامل داخلي يتمثل في التهامها لذاتها وليغيب بالتالي دور العامل الخارجي المتمثل في المد المسيحي، كذلك وظف الجابري الهرمسية بعد تضخم شأنها تضخيما تهويليا ليرد أفول العقلاني العربية الاسلامية الى عامل خارجي ليغيب العامل الذاتي الداخلي في هدا الافول "[2]

تبدوا ،استقالة العقل عند فستوجير تغدو عند الجابري إقالة للعقل الأولى تكون العقلانية اليونانية هي المسؤولة عن أفولها والثانية ترفع عن العقلاني العربي الاسلامي

[1] _ المصدر نفسه، ص 32

[2] _ جورج طربيشي،نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقيل في الإسلام المصدر السابق،ص93

مسؤوليتها عن افولها ،وهنا تتجسد المركزية اللاواعية وتعبر عن عصر الانحطاط الذي لم يعي فيه دور البيان العربي الاسلامي في وأد البرهان العربي الاسلامي"[1].

إذن ؛يمكننا القول ان التراث القديم في صورة تغريب العقل وتشريق اللاعقل يعرض في تلك الحالة عن مورفولوجية الظاهرة ودوافعها الباطنة عن الهم المركزي التي نظمته ابستمولوجيا الجغرافية الجابرية ،فالهاجس المركزي للعقل عند المفكرين أخد الدور الاساسي في توريد الموروث القديم الى ساحة الثقافة العربية الاسلامية وتوسيع اللامعقول العقلي على حساب المعقول الديني في أطر الثقافية الداخلية الباطنية غير الظاهرية، حيث وجود العقل المستقيل عن التفكير وظهور ظاهرة الجمود الفكري داخل الفكر العربي الاسلامي بدعاوي التقليد والرجوع كما اشار طرابيشي "ان حران هي المحطة المركزية لاستيراد ثقافة العقل المستقيل ولاعادة تصديرها الى داخل المجال التداولي للثقافة العربي الاسلامية في المشرق حصرا"[2] .

فمن الاسكندرية وانطاكية انتقل الموروث القديم اساتدة وكتبا الى حران قبل ان ينتقل الى بغداد ومن حران انطلق اقوى تيار من تيارات الموروث القديم"وهو التيار الهرمسي ،فكل الانحطاط اللاعقلاني لهدا العقل كان مصدره حران او على الاقل كانت هده المدرسة من عناصر الاساسية،"المشرقية البنيوية التي كرست لاعقلانية في الوعي العربي لقرون طويلة نجد العناصر المقابلة لها في الفلسفة الدينية الحرائية" وفلسفة الخوان الصفا الذي قالوا بروحانية الكواكب وتأثيرها بالسحر والتنجيم ،نجد مشروعيتها العقلية في الفلسفة الدينية الحرانية والرازي الذي كان على كون طبيب الاسلام غير مدافع فيه نمودجا تاما لفيلسوف عنوصي هرمسي مادفع في جميع ارائه العلمية والفلسفية ؛سوى ان يتبنى المذهب الحراني جملة وتفصيلا ،اما الفارابي الملقى عليه القبض اصلا بالجرم المشهود .."فالجابري يقول ان الفلسفة الدينية الحرانية قد لعبت في الفكر الفلسفي الاسلامي الدور نفسه تقريبا الذي لعبته الاسرائيليات في التفسير والحديث"[3] ،وسؤال طرابيشي بعد قول الجابري كيف لأقلية ان توقع في حبالها جميع الفلاسفة المشرقيين كان واجب الجابري لتبرير التضخيم الايديولوجي والابستمولوجي ان

[1]_المصدر نفسه،ص94

[2]_ المصدر نفسه ،ص 100

[3]__ جورج طربيشي،نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقبل في الإسلام المصدر السابق ،ص 125

الاقلية الحرانية عقيدتها في الالوهية الكواكب وقولها بالتالي بنظرية الفيض والعقول العشرة "،فالعلاقة بين العقل والطبيعة يقدر العقل على تفسيرها والكشف على اسرارها والواقع بتشكلات ثابتة بنيويا يتمحور علاقة في بنية العقل الذي قطباه العقل والطبيعة، فما ميز العقل العربي بوصفه عقل الثقافة العربية الاسلامية هو ان العلاقات تتمحور حول ثلاثة اقطاب _الله الانسان الطبيعة_ وباعتبار العقل منزل بمنزلة فطرية ثابتة لاتاريخية في فهم النص على المماهاة بين العقول ومركزيتها وتموقعها في تغيير الراهن الفكري والثقافي واليومي .

ويكون ذلك ،منطق العقل المستقيل المؤمن بالمعجزة واذاعة الوهم في الثقافة العربية الاسلامية الموروثة قلب مسار العقل من الديني الى العقل العلمي ،مع تقدم العلم والمعرفة العلمية فهنا يقتضي مفهوم الثورة الكوبرنيكية [1] ثورة عقلية أكثر ماهي محض ثورة علمية "في الوقت الراهن والزمن المعاصر _عالم العقل الذي هو التراث والتأويل الموروث للتراث هي شرط شارط لاستئناف عملية الاقلاع نحو الحداثة التي كان لاح بارقها مع عصر النهضة قبل ان يخمد في ما لم نتردد بأن نسميه عصر الردة"[2] ؛ فجليد التي يطرحها العقل بين العقل المكوِن والعقل المكوَن كما صاغها اندريه لالاند في كتابه العقل والمعايير ؛يمكن القول ان الثورة الكوبرنيكية بالنسبة للعقل العربي المعاصر والمتوتر بين قطبي التراث والحداثة ،ثورة ذاتية ينتفض فيها العقل كما تكون في التراث على نفسه ليعيد تأسيس ذاته في عقل مكون جديد مع رهان الحداثة والواقع الفكري ورهان الحداثة والواقع العولمي والثورات العلمانية .

ب_ الأنا بين كونية العلمنة و أزمة التراث:

نجد، الصراع اللاهوتي السياسي الذي يعد حلقة متوالية من حلقات التاريخية السياسية الدينية الذي انتج مصطلحات ابرزها العلمانية كمصطلح مقترن بالسياسة "اشكالية مصطنعة ومنقولة عن الغرب"[3] ،كما أعلن عنها الجابري بأنها نموذج لاشكالية عادمة اللزوم ومستغنى عن خدماتها لأنّ العلمانية تعني فصل الكنيسة عن الدولة

[1] _الثورة الكوبرنيكية نسبة الى عالم الفلك كوبرنيكوس ،

[2] _جورج طرابيشي ، المعجزة اوسبات العقل في الاسلام ، دار الساقي ،بيروت،ط1 ،2008 ،ص183

_ جورج طرابيشي ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية،دار الساقي ، بيروت

[3] ،ط1،2007،ص 9

والاسلام ليس فيه كنيسة لنفصله عن الدولة "[1]؛ فالعلمانية فلسفة وآلية لتسوية العلاقات لا بين الاديان المختلفة فحسب بل بين الطوائف مختلفة في الدين الواحد"[2] هنا تكمن ماتسمى بالتعددية الدينية في إطار التحدث عن العلمنة بوصفها آلية من طبيعة قانونية للفصل بين الدين والدولة ولتسوية العلاقات بين الأديان والطوائف وبإعتبارها طريق نابع لترقية المجتمعات من الطابع الهمجي الغابي وتحررها من الحيونة نحو التحرر بالانسانية والتقدم ، فالعنصر الهام في جدلية التقدم والتخلف بالنسبة للذات العربية وموضعها ورؤيتها للديمقراطية والليبرالية كمركزية حداثية .

يعبر عنها " الاطار الجيو-ثقافي_العربي الاسلامي ،فإن لهدا السؤال أهمية قصوى فلئن اوربا الغربية قد تقدمت لانها كانت مسيحية تحت مظل كاثوليكية بروتستانتية مزدوجة أو متناحرة "[3] الجيو ثقافية الاسلامية العربية وغير العربية في التقدم تظل معدومة ان لم يكن ذلك الى الابد ، فالعالم العربي يبقى في ظل التقليد والاستعباد جراء التأخر عن السباق الحضاري على عكس أوربا تدين بتقدمها لعلمنتها لا لمسيحيتها ،على غرار بقاء العالم العربي الاسلامي باقي متمسك بكل تراثه الديني لم ينفك منه حتى يتطور ولم ينطوي عليه ليقدم منه شيئ ، بقي حبيس التفكير الدوغمائي .

تبعا لذلك ،وعلى سبيل تعريف الذي أعطي للحداثة الذي إقترحه مرسيل غوتيه عندما أقام بين التحديث والعلمنة علاقة ترادف الخروج من الدين"[4] ، فالقطيعة الفكرية التي أطلق عليها إسم العلمنة ويضاف مصطلح العلمنة الدينية بربطها بالعامل الديني مند لوثر حيث كان" احتكار الكنيسة الكاثولوكية للإيمان الديني رد هذا الايمان الى الشخص البشري ،وأول إلى عقله المتمتع بالسؤدد الذاتي مهمة تأويل النصوص المقدسة "[5] ... وهناك أيضا العلمنة الثقافية والعلمنة اللغوية (التمرد على لغة المقدس) والعلمنة الانسانية(لفظ أطلق في سياق العلمنة الثقافية اللغوية) والعلمنة العقلية (التفكير بالعقل في العقل) والعلمنة العلمية(تغير صور العالم القديم) وبتالي أصبح للعقل

---

[1] __ جورج طرابيشي ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية، المصدر نفسه،ص10

[2] _ المصدر نفسه،ن ص

[3] _ المصدر نفسه،ص 97

[4] _المصدر نفسه ،ص 98

[5] _ المصدر نفسه،ص100

البشري عالم جديد عليه ان ينتمي اليه وذلك بالتحرر من الاساطير الغيبية وفي "التثوير الدائم واللامتناهي للمعرفة الدينية"[1] ،أما العلمنة الطبقية (لا مرجعية مفارقة للطبقات) والعلمنة القانونية(إعلان حقوق الانسان) والعلمنة السياسية(مبدأ السيادة والامة وتكريس لغة قومية)-في اطار جيو بولتيكي جديد للدولة مايعرف باسم الدولة/الامة أو الدولة القومية التي قدمتها الثورة الفرنسية كنموذجها الاول[2] – والعلمنة الجنسية (تحرير مزدوج للحياة الجنسية البشرية من الخطيئة والجريمة) مع سيغموند فرويد وحفرياته في قارة اللاشعور.

فالتمييز بين العلمنة كسيرورة تاريخية وحضارية وبين العلمانية كآلية قانونية ضروري لا لتفهم واقعة الحداثة الاوربية وحدها بل لتفهم واقعة تعلمن المجتمع بالتوازي وعلاقته مع تعلمن الدولة في البلدان الاوربية على خلاف ماحدث في روسيا البلشفية او تركيا الكمالية حيث اجبرت الدولة المجتمع على اعتناق العلمانية وفرضتها عليه فرضا كايديولوجية او حتى كدين بديل"[3]، فالعالم العربي فقد عرف علمنته بشكل متفاوت وبالاخص لا توجد اية دولة عربية علمانية وهدا راجع لطبيعة الانظمة العربية التي عموما تكون ديكتاتورية واقعية بعلمانية مزعومة على ان الاسلام هو دين الدولة ومبادئ الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع لكن يبقى هذا شعار لا صلة له بالواقع تجد التعلمن قوة موروثها القانوني كان من عهد النظام الاستعماري الكولونيالي الاوربي .

تعتبر الذات العربية الخطاب المعاصر أمام واقعية العلمنة وكونها موقف جمود تدعو بالتقليد او بالرجوع نحو ضم التراث والتاريخ ورفض كل فكر ايديولوجي على انه حجاب وحاجز بين الوعي والواقع ،فالحداثة التي فرضتها العلمنة بكونيتها على كل العالم احالت كل ماهو تاريخي وكل ماهو ضمن الموروث الذاتي يحمل الشعوب نحو التقاعد الفكري ،خالف جورج طرابيشي سمير أمين بجعله انتماء البيان الى التراث لا الى الحداثة بحسب سمير امين فالتراث وبهذا الشكل يعد تحنيطا وهو ماشكل ازمة تراثية لتموقع الذات .

---

[1] _ المصدر نفسه ص 101

[2] __ جورج طرابيشي ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية المصدر السابق،ص102

[3] _ المصدر نفسه، 106

وإذا كنا عرجنا بهذا الشكل على ماهية الأمة العربية بخصائص مطلقة هي التأهيلية والروحانية والمثالية والإنسانية والحضارية "[1]، ومن هنا فإن الفكر التراثي العقائدي محسوم بالميثولوجيا ومنطق الميتافيزيقا للنموذج التفكير الاستشراقي المعكوس الذي تحدث عنه صادق جلال العظم ويقصد به النموذج الديني السلفي المتجدد المحافظ للتراث الديني ؛وهو تيار محافظ في إنتاج الميتافيزيقا فالدين الإسلامي يحافظ على روحيته ضد الميول المادية، فكل الاتجاهات الحضارية أصبحت دخيلة على الشرق العربي وتشكل قطيعة جادة مع الموروث الثقافي والديني والتاريخي.

وفي السياق التحديثي للفكر العربي المعاصر نجد اطر تجديدية للفكر النهضوي والسياسي ، "فلا الليبرالية الرأسمالية استطاعت تقديم البديل للمنظومة السياسية الإسلامية التقليدية ولا الماركسية الشعوبية استطاعت تثبيت أقدامها على أرض ألإسلام[2]، ربما كانت أكبر كارثة هبطت على العرب هي الماركسية كقوالب غريبة حتى الآن لا تجد الماركسية مكانا لها في العالم العربي "أمام الفكر الغربي يأخذك النظام النسق والمنهج وأمام الفكر الشرقي تشعر على العكس أنك في حضرة الهاوية ويعتبر التراث مجرد مرآة للماضي وتاريخ الامجاد لا غير بعيدا عن كل حضارة راهنية وكل تطور للعقلانية العلمية اليوم.

حيث،ارتبطت العلمنة بالديمقراطية وتموقعها بالعالم العربي كإحدى مشكلات المعرفية من منظور اطوار الممارسة التاريخية الذي اقترن بالفكر الديمقراطي العربي والنزعة الشعبوية (الدولة ضد الامة والدولة الذئب والأمة حمل) فالفكر الديمقراط الشعبوي وهو الفكر السائد إجمالا في الساحة الثقافية العربية يضع كل رهانه على الشعب"[3] وهنا تصبح علاقة الجلاد والضحية .

هنا، الجابري يختصر قوله "العلمنية بمعنى فصل الدولة عن الدين غير ذات موضوع في الاسلام لانه ليس فيه كنيسة حتى تفصل عن الدولة او تفصل الدولة عنها "[4] يرد

---

[1])صادق جلال العظم ،ذهنية التحريم ،دار المدى للنشر والتوزيع ، ط1،سوريا،1997 ،ص42.

[2]) صادق جلال العظم ،المرجع نفسه ،ص 46.

_ جورج طرابيشي، هرطقات ، عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية ، دار الساقي ،بيروت،ط1،2006 ،ص 17 [3]

[4]_المصدر نفسه،ص72

طرابيشي على قول الجابري بانه منطق شكلي وعملية استدلالية فاسدة تخلو من التفكير وهو مااسماه بمنطقة اللامفكر فيه او باللاتفكير والجابري يأخذ بمنطق الاصوليين في عدم لزوم العلمانية ومقتنع بقوله الاسلام هو دين ودولة في ان واحد وهو ما أخذه من حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين.

لذلك ،نعت الجابري مسألة العلمانية في الوطن العربي بانها مسألة مزيفة [1] في حين ان العلمانية عامل من عوامل الديمقراطية والممارسة السياسية والعقلانية .فالنهضوي العربي مسلما او مسيحيا كان يشعر شعورا لايقاوم بان الاسلام "كحضارة كثقافة ولغة وتقاليد وعادات ورؤى واستشراقات ،جزء أساسي من هويته ولذلك لم يتردد لحظة واحدة في التجنيد من اجل بعث اللغة العربية لغة القران واحياء ادبها واعادة كتابة تاريخ الاسلام وابراز مآثر التمدن الاسلامي"[2]، خالف طرابيشي قول الجابري هذا باعتباره انه يتحرى بالاخذ الاخر عن سوسيولوجيا وغائية شعار العلمانية ،فارتباط الانا بالثقافة لها تأثير المثاقفة بالمعرفة الفكري التي تتصف بصفة التراثية الاصيلة (التراث)"كلمة تراث ما كانت تعني شيئا آخر سوى الارث و الميراث بالمعنى المادي للكلمة...، فالتراث الوعي بوجود تراث بمعنى ثقافة الاسلاف قد رأى النور هو نفسه عقب صدمة اللقاء مع الغرب ومن جراء الاحتكاك بثقافة الاخر "[3] ،فمفهوم التراث فرض نفسه في الحق التداولي للثقافة العربية الحديثة على سبيل رد الفعل ومحاولة رد فعل ثقافة ذات في مواجهة ثقافة الاخر فإنها حاضرة فارتدت نحو ماضيها لتصل ما انقطع من شرخ هنا تظهر ازمة التراث التي تواجهها الذات باعتبارها جرح الانتبروبولوجي على مستوى قطيعتين قطيعة العرب عن حاضر الغرب وقطيعتهم عن ماضي العرب ذاته، وبذلك يظهر مفهومان الثقافة بالاحالة الى الافراد والتراث بالاحالة الى الذات في ظل هاته الثنائيات ظل الوعي العربي يصارع الوجود الفكري الثقافي وحتى النهضوي نحو الحضارة

[1] _المصدر نفسه ص 75

_ جورج طرابيشي ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية المصدر السابق

[2] ،ص75

[3] _ المصدر نفسه، ص98

مند قرنين من الزمن؛ فهو يريد نفسه في ثقافة العصر بدون ان يقطع مع تراثه وهو يريد ان يحي تراثث ماضيه بدون ان يميت نفسه نفسه عن ثقافة العصر"[1] .

تعتبر ثنائية التراث والثقافة على اساس الابستمولوجي الذي عرف بعصر النهضة (بثنائية القديم والجديد ،الاتباع والابداع ، الاصالة والمعاصرة) هنا يضع التراث في مواجهة الحداثة في الثقافة العربية الحديثة وهنا قلب العلاقة بين التراث والحداثة وكل عوامل الحداثية من علمنة وديمقراطية."على المثقف ان ينزع عن بصره غشاوة الايديولوجيا وان يحرر نفسه من الصيغ الجاهزة والمفاهيم المتآكلة ان يضع ذاته من جديد في مدرسة الواقع والحقيقة [2]"،نحو مايسمى بالمركزية المثقف الحداثية التي تفرضها العلمانية والحداثة دون التراث والتاريخ وتأتي من التقدم الذي تفرضه الكونية الحداثية أي الثقافة الكونية و المثقافة باستثناء الوهم الايديولوجي الذي عليه مراجعة الذات المفكرة،فالخطاب العربي الحديث يميزه القدرة على استدماج السريع للمصطلحات الايديولوجية ،حيث اصبحت العلمانية يصطلح عليها باللائكية.

ازمة التراث والحداثة والعلمنة بشكل مباشر جعلت من المفكرين العرب واصحاب المشاريع بين موافق ومعارض_ فمحمد اركون مثلا انتصر للعلمانية ضدا على العلمانوية _ فمصطلح العلمانية مبدأ من مبادئ الكبرى للحداثة يعتبر اركون قضية العلمانية حيزا اساسيا في مشروعه بوصفها شرطا لابد من الدخول العرب والمسلمين ودولة او دين في العصر ،ويرى في تحقيقها مقياسا للوصول الى الحداثة رافضا فكرة ان الاسلام دين ودولة او دين ودنيا فالدولة في الاسلام كما في المسيحية ظاهرة دنيوية قبل ان تكون دينية بل هي قد استعانت برجال الدين لتأهيل مشروعيتها حيث تتعلق العلمنة ب laïcisation بإرادة الفهم والمعرفة ويحقق تبيئتها في المجتمعات الاسلامية حماية للدين ضد احتكار السلطة له وسحب البساط من تحت اقدام الحركات الاصولية وتميزا بين المستوى الروحي المتعالي transcendant للدين فيها البعد الديني من دون تكون هناك

[1] __ جورج طرابيشي ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية المصدر السابق، ص96

_ _ جورج طرابيشي، هرطقات ، عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، المصدر [2] السابق ،ص 123

سيطرة بعد على الاخر دلك، يرفض اركون العلمانية النضالية والايديولوجية التي شاعت في تركيا مثلا".[1]

عندئذ، حاول المثقفون العرب العلمانيون او المحدثون لهدا الخط من تعمق في البحث خشية ان ينعتوا بالرجعية ان التدين لكان الاهتمام بالدين ودراسته علمية تاريخية هي "الرجعية او العودة الى الوراء هدا مع العلم ان علماء اوروبا الكبار وبداية العشرين الى نشوب مايدعى بالأزمة الحداثية التي la crise moderniste صاحبت ادخال المنهج التاريخي الى ساحة العلوم الدينية وتفسير النصوص المقدسة على ضوء العلم التاريخي ،وهدا ماشكل ازمة كبيرة للوعي المسيحي التقليدي المليء بالرؤيا الخارقة للطبيعة والمعزات عن اصول المسيحية ونشوءها فجاءت الرؤيا التاريخية لكي تعطي صورة اخرى مختلفة فيما يخص هده الازمة الكبرى التي زلزلت الوعي التقليدي المسيحي ".[2]

وهناك صعوبات في قبول اي تفسيرات كون الامبريالية سبب العدائية الاسلامية ولو اننا عرفنا الامبريالية بمفهوم ضيق خاص على انها تعني غزو وهيمنة المسلمين على البلدان الاسلامية ولنفترض ان العلمانية وجهت ضد الامبريالية قد تكون جذور العلمانية تأسست في طرفي من التعاليم المسيحية المبكرة التي اوجدت مؤسستين منفصلتين الكنيسة والدولة فيما يعد في الصراعات المسيحية .

ج_مكانة التراث العربي الاسلامي في الخطاب العقلاني المعاصر_النقد ضد النقد_:

انطلاقا من أزمة الذات في الوعي الاسلامي سواء كصراع مع حداثة العولمة او صدمة العجز بالرجوع نحو الذاتية التراثية والتاريخية ،فالحداثة الغربية نجحت في تفكيك البنية المفاهمية التي عجز الخطاب العقلاني العربي المعاصر، كمشاريع فكرية عن ذلك وهدا ما ادى الى استعصاء التعامل مع نسق الحداثة بكليته المركبة والمتطورة والاكتفاء بالرجوع نحو الهوية الذاتية التراثية دون الخوض في غمار محاولة التحرر قياسا بالأصل التراثي وهو منهج لا يولد قراءة معاصرة للتراث الممكن ان تخرجه من مستوى الذاكرة الى مستوى التفعيل وتجديد لحركة التاريخ واعادة قرائتها .

---

[1] _ فارح مسرحي ،الحداثة في فكر محمد اركون ،منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم /دط،2006،ص198.

[2] _محمد اركون ،الاسلام ،اوروبا ،الغرب ،ترجمة هاشم صالح ،مكتبة الاسكندرية ،دار سنى ،ط2، 2001،ص 221.

مند هزيمة 1967 التي كشفت عن أزمات ايديولوجيا ثورية لها علاقة بالموروث الذي فشل في التعامل معه وتم نقله الى صراع ايديولوجي وأصبحت ماتسمى بالايديولوجيا التراثية ليصبح التراث منزلة الايديولوجيا نفسها "الجذور التاريخية لازمة الحرية والديمقراطية في وجداننا المعاصر من خلال ما هو الا تراكم تاريخي لماض عشناه وبالتالي فان أزمة الحرية والديمقراطية في وجداننا المعاصر ليست بنت اليوم بل ..هي من موروثات تلك الرواسب الحضارية والتراكمات القيمية والدينية والنفسية التي ورثناها من القدماء"[1] ؛وهنا يقصد بالاصول الاولى الموروثة عن القران والحديث أي العلوم الدينية النقلية والعقلية وحتى العوامل الواقعية ذات طوابع اجتماعية متعصبة ،حيث اشتغل الجانب الديني من الناحية السياسية فاضحى في النظام السياسي كل معاد هو شيطان اي اخد الجانب التقديس والتحريم وبشرعية دينية وتحت لواء المقدس الذي حجب حرية الفكر.

ظهرت ممارسات تدعوا لتبرئة التراث وعدم تجريمه وجعله في نفس المسار التي سارت عليه النظم العربية المعاصرة اللاديمقراطية وهناك من يجعل تلك الممارسات للأنظمة ،ماهي الا استمرار وإمتداد ونتيجة حتمية للتراث اللاديمقراطي " فنقد التراث الديني هو الشرط الضروري لنقد المجتمع وان نقد الدين هو المقدمة الضرورية لتحريك الواقع وثورته"[2] ،حيث عرفت الازمة التراثية مع التيار الماركسي العربي ومع سمير أمين حينما ألصقت به (العدمية التراثية) التي كانت نتيجة لورقة عمل بعنوان إشكالية الديمقراطية في الوطن العربي حيث رد في قوله "فهم البعض أنني أرفض التراث كليا بل وربما أحتقره هذا غير صحيح وناتج عن سوء فهم كل ماقلته في هدا الصدد هو أن هناك جناحا من البرجوازية يدعوا الى التغريب الصحيح ومحاولاتها قد فشلت بالتجديد، لأنها احتقرت التراث كليا "[3]؛هنا يكمن صراع تحديث التراث في الخطاب العربي المعاصر عن سجالات بين التراث ذا طابع تقدمي والأخر ذا طابع رجعي وهناك من يدافع عن التراث بشكل عام دون أحد الاتجاهين.

---

[1] _ جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة ،دار الساقي، بيروت،ط3،2012،ص10

[2] _ جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة المصدر السابق، ص14

[3] _ المصدر نفسه، ص15

ان التأريخ للتراث واستلهامه الايديولوجي أمران مختلفان تماما فالتاريخ يتطلب النظرة الشمولية وقياس الظواهر في اطار عصره اما الاستلهام الايديولوجي فانتقائي دوما ، يأخذ من التراث ما ينفع في المعركة الفكرية الراهنة ويقيم عناصره في ضوء هموم الحاضر"[1]، كمفصل ومخرج من ازمة التراث اعتبارا انها ايديولوجيا العلمية وربط بين حقيقة تاريخية وحقيقة ايديولوجية او ماتسمى بدعائية.

هنا طرح طرابيشي موقفه بقوله بدلا من استخدام التراث الاسلامي لترسيخ قناعات الجمهور المؤمنين حول رفض الدين، نحاول زعزعة قناعات الانسانية باسم العلم والحقيقة ، حيث ميز بين التيار القومي والماركسي بانهما يردان ان يخضعا جسد التراث لعملية جراحية واستئصال الانحطاط والظلامية من تاريخية التراث وتجاوز الرجعية ، مع انه للتيار الماركسي اتجاهين احدهما قويم العقيدة والاخر غير قويم العقيدة؛ اما التيار القومي فهو بين العلماني (زكي الارسوزي) والاسلامي(محمد عمارة) ،هنا يتشكل لنا العقل العربي وهو تحت ثقل مورثه من التراث اللاعقلاني واللغة اللاتاريخية التي يبدوا محكوما عليه بوضعيته اللاعقل عقل قابل لان يفتقد السلطة التي تجعل منه عقلا حيا ،السلطة التي بها يفرض النظام على نفسه وعلى العالم"[2]،بهذا يكون العقل ميت او اشبه من ميت كما ذكر الجابري في بنية العقل العربي عندما ذكر لغة العقل الميث التي هي لغة العربية الصحراوية المشرقية (المشرق يمثل اللاعقل والمغرب يمثل العقل)" فالعقلية هي التراث المشترك للمتعاصرين في مكان –زمان خاص التراث الذي انطلاقا منه ورجوعا اليه يتحدد إدراكهم للواقع وتخليهم لما فوق الواقع"[3]، فكل المفاهيم العقلانية والتراثية لها الاثر والتأثر التي تنتشر وراءها التراث لتظهر للاخر في تعقل مغاير كحفريات معرفية فوكوية في دعوة الانا للتعقل مع ثوابت العقل العربي الرئيسية .

في الاخير يمكننا القول ان التعامل مع التراث بموضوعية ومعقولية كما يراها الجابري بجعله للتراث معاصرا لنفسه وبتلك المعقولية التي تنقل التراث الى الحاضر بعملية عقلانية واعية تجعل من التراث موضوعا للفهم عن طريق عملية النقد واتصال العقل

[1] _ المصدر نفسه،ص18

[2] _ المصدر نفسه،ص138

[3] _ جورج طرابيشي ، نقد نقد العقل العربي ، نظرية العقل ،دار الساقي ، بيروت،ط1 ،1996 ،ص ص283،284

بالوعي المعرفي باليات معاصرة وعلمية، اكثر منها عاطفية والابتعاد عن دائرة التقديس والرجعية الفكرية في استعباد الماضي ، فكل المشاريع التحديثية والتجديدية للتراث عموما ماهي الى اليات نقدية اما للحاضر او الماضي ولكل منها اليات تقدمية في ممارسة النقدية ويبقى التحديث يمارس كعملية ايديولوجية لا علمية محضة حسب جورج طرابيشي ، التي جعلت من الانسان المغيب في التراث العربي الاسلامي بشكل عملي وعلمي كفكر ومعرفة ووعي واستطلاع لانه دائم التوجه نحو الاستقالة والعجز والتقبل المعجزات في اطار الالهي لم يستطع ان يفصل بين ماهو الهي وماهو واقعي طبيعي يجب تفكيكه فالتراث ليس كله مقدس وليس كله ثيولوجيا وانما هو حفر في التاريخ المعرفي .لرصد مسار تاريخي للتراث ليتحرر من دوغمائيته واسطوريته التي جعلت منه مشتتا وضعيفا وحبيس الماضي.

قائمة المصادر والمراجع:

1_ طرابيشي جورج ، المعجزة اوسبات العقل في الاسلام ، دار الساقي ،بيروت،ط1 ،2008

2_____، هرطقات ، عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية ، دار الساقي ،بيروت،ط2006،2

3_____ ، هرطقات2،عن العلمانية كاشكالية اسلامية-اسلامية،دار الساقي ، بيروت ،ط2007،1

4_____، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة ،دار الساقي، بيروت،ط2012،3

5_____، نقد نقد العقل لعربي، العقل المستقبل في الإسلام، دار الساقي بيروت لبنان ،ط1 ،2004

6_____ ، نقد نقد العقل العربي ، نظرية العقل ،دار الساقي ، بيروت ،ط1 ،1996

7__ الجابري محمد عابد ،بنية العقل العربي2، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ،بيروت،1986

8_الجابري محمد عابد ا، التراث والحداثة ، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، .1991

9_الجابري محمد عابد ، تكوين العقل،،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1995،5

10_اركون محمد ،من الاجتهاد الى النقد العقل الاسلامي ، تر هاشم صالح ، دار الساقي، ط،1991

11_ اركون محمد ،الاسلام ،اوروبا ،الغرب ،ترجمة هاشم صالح ،مكتبة الاسكندرية ،دار سنى ،القاهرة ،ط2، 2001

12_الحاج كميل ، تصدع العقل العربي المعاصر او الصدام الصاعق مع الحداثة ،دار الحداثة للنشر،بيروت،ط2010،1.

13_ العظم صادق جلال ،ذهنية التحريم ،دار المدى للنشر والتوزيع ، ط1،سوريا،1997

14_ مسرحي فارح ،الحداثة في فكر محمد اركون ،منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم / دط،.2006